

البداية والنهاية

بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك وقال نحو ذلك مسلم بن عوسجة الأسيدي وكذلك قال سعيد بن عبد الله الحنفي والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله لو علمت أنني أقتل دونك ألف قتلة وأن الله يرفع أشرك بذلك القتل عنك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك لأحببت ذلك وإنما هي قتلة واحدة وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضا من وجه واحد فقالوا والله لا نفارقك وأنفسنا الفداء لك نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا وأبداننا فإذا نحن قتلنا وفينا وقضينا ما علينا وقال أخوة العباس لا أرانا الله يوم فقدك ولا حاجة لنا في الحياة بعدك وتتابع أصحابه على ذلك وقال .

وقال أبو مخنف حدثني الحارث بن كعب وأبو الضحاك عن علي بن الحسين زين العابدين قال إنني لجالس تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها وعمتي زينب تمرضني إذا اعتزل أبي في خبائه ومعه أصحابه وعنده حوى مولى أبي ذر الغفاري وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول ... يا دهر أف لك من خليل ... كم لك بالأشراق والآصيل ... من صاحب أو طالب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل ... وإنما الأمر إلى الجليل ... وكل حى سالك السبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثا حتى حفظتها وفهمت ما أراد فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت وعلمت أن البلاء قد نزل وأما عمتي فقامت حاسرة حتى انتهت إليه فقالت واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت أمي فاطمة وعلى أبي وحسن أخي يا خليفة الماضي وثمان الباقي فنظر إليها وقال يا أختي لا يذهبن حلمك الشيطان فقالت بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله استقتلت ولطمت وجهها وشقت جيبها وخرت مغشيا عليها فقام إليها فصب على وجهها الماء وقال يا أختي اتق الله واصبري وتعزي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لا يبقون وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته ويميتهم بقهره وعزته ويعيدهم فيعبدونه وحده وهو فرد وحده واعلمي أن أبي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة ثم خرج عليها أن لا تفعل شيئا من هذا بعد مهلكه ثم أخذ بيدها فردها إلى عندي ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يدنوا بيوتهم بعضها من بعض حتى تدخل الأطناب بعضها في بعض وأن لا يجعلوا للعدو مخلصا إليهم إلا من جهة واحدة وتكون البيوت عن أيما نهم وعن شمائلهم ومن ورائهم وبيات الحسين وأصحابه طول ليلهم يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون وخيول حرس عدوهم تدور من ورائهم عليها عزرة بن قيس